

مول قضية فلسطين :

## والآن أيها العرب

أما تزالون تنتظرون؟!

للأستاذ سيد قطب

—•••••—

قصة العرب مع الاستعمار الإنجليزي في فلسطين هي بيننا قصتهم مع في كل بلد عربي آخر؛ وخديعة الاستعمار الإنجليزي للعرب في فلسطين هي خديعته الخالدة لكل بلد عربي آخر .  
وتسميتها قصة هي في الواقع تجوز ، فهي في حقيقة الأمر مأساة اليمية متكررة ، وأشد ما يؤلم فيها هو هذا التكرار الذي لا يفتح عيون العرب على الخديعة ، ولا يغير طريقهم التي سلكوها نخبوا في كل مرة ، ولا يجنبهم الحجر الذي لدغوا منه بدل المرة مرات .

هي مأساة الثقة بالضمير الإنجليزي ، بل مأساة الاعتقاد بأن هناك ما يسمى الضمير الإنجليزي ! وذلك هو الحجر الذي لدغ العرب منه مرات ، في كل بلد عربي ، ثم هم مع ذلك لا يتوقفون ، فيصدق عليهم الحديث : « لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين » وحاشا لهؤلاء أن يكونوا مؤمنين ، وهم في كل يوم يلدغون !  
حفنة من الساسة قعدت بهم عن الجهاد مشقات الجهاد ، فاختراروا لشعوبهم الطريق الأهون ، والخطة السهلة ؛ وراحوا يضيعون أوقات الشعوب بالموتمرات والمفاوضات والمبادرات ؛ ودعوا الشعوب للهدوء والانتظار في ارتقاب النتائج من هذه الطرق الهينة المأمونة .

وكان من غضب الله على هذه الشعوب أنها سمعت كلام أولئك الساسة الضعفاء المهازيل ، واستجابت لدعوة الراحة والدعة ، « إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

تكررت هذه المأساة في مصر ، كما تكررت في فلسطين ، كما تكررت في كل بلد عربي دنسته أقدام المستعمرين الطغاة .  
وهب الشعب في مصر ، كما هب في فلسطين ، كما هب في كل بلد عربي يكافح هذا الاستعمار البغيض ، يكافح كما ينبغي أن يكافح.

يكافح بالدم المبذول ، والروح المسترخصة ، والتضحية بالنفس والمال .. وكان هذا هو الطريق الصحيح . الطريق الذي سلكته من قبل الولايات المتحدة ، وإيرلندا الحرة ؛ كما سلكته أخيراً سورية الآبية ، ولبنان الأثم .

وبينا الشعوب في فورتها ، والتضحية في عليائها ، صاح عليها الأغربة المشثومة : حسبك أيها الشعوب فقد أدبت راجبك حسبك ودعى الأمر لأولى الأمر . دعيه للساسة بما لجونه بالحكمة والديبلوماسية ، بمد ما عاجلته بالدماء والتضحية !

ومنذ هذه اللحظة المشثومة وقضايا العرب تحسر في كل مكان ، ومنذ هذه اللحظة المشثومة والاستعمار يكسب في كل مكان .  
لقد التقط الاستعمار أنفاسه بمد الجهد العنيف ، بمد ما كاد يسلم للشعوب بحرقها المنسوب . ولكن لماذا يسلم ، وهؤلاء جماعة من هذه الشعوب يخدرونها لتنام ، ويروحون على وجوهها لتنمس ، ويلوحون لها بالأحلام الجميلة لتستغرق في الأحلام الجميلة ؟  
ألا قاتل الله اللحظة المشثومة التي استلمت فيها الأمم العربية لهذه الغريبان المشثومة !

والآن أيها العرب . أما تزالون تنتظرون .

فأما مصر فقد هداها الله إلى نصف الحق ، هداها إلى قطع المفاوضات والمبادرات والداورات . هداها إلى الخروج من تلك الدائرة البغيضة التي دارت فيها ودارت خمسة وعشرين عاماً كما يدور نور الساقية ، أو حمار الطاحون !

ولكنه لم يهداها بمد إلى النصف الآخر . لم يهداها إلى أن زمام الأمر في يدها هي لا في يد هيئة الأمم المتحدة ، ولا في يد مجلس الأمن ، ولا في يد محكمة العدل الدولية ، ولا في يد كائن من كان على ظهر هذه الأرض إلا المصريين !

لم يهداها إلى أنها تخطو إلى منتصف الطريق عند ما تلجأ إلى هذه الهيئات الدولية ؛ فأما نصفها الآخر . نصفها المؤدى إلى الناية ؛ فهو أن تعزم على الاستقلال في ضميرها ، وأن تنبذ المبودية من روحها ، وأن تطهر دماءها من لوثة الذل الذي فيها . وأن تنبذ على سواء إلى هذا الاستعمار فتواجهه بنفسها مواجهة من اعترم وصمم وانتهى .

ولو فطنت مصر لنظرت في تطهير المصالح المصرية من كل موظف إنجليزي منذ هذا الصباح . وفي تطهير الاقتصاد المصري

التراجع ، ولانبني المهادنة . فلجأوا إلى وسيلتهم الخالدة . وسيلتهم التي جربوها في مصر من قبل فمادت عليهم بالخير والأمن والهدوء ، دعوا فلسطين إلى مؤتمر المائدة المستديرة ا ودعوا معها العرب جميعاً . ومع الأسف صدقت فلسطين ، وألقت السلاح ، وانتظرت نتائج المائدة المستديرة ا

ومن الإنصاف أن نذكر أن الخديمة في هذه المرة لم تأت عرب فلسطين الأباة من جهة الإنجليز ، إنما جاءتهم من جهة من يسمونهم الزعماء ، الزعماء هنا في مصر وفي بعض البلاد العربية . وخذع العرب الأباة بذلك الكتاب الأبيض الذي أسفر عنه المؤتمر . وجاءت الحرب فوقفوا في صف إنجلترا هم وسائر العرب في بلاد العرب .

وقيل لهم : إن الإنجليز سيعرفون لهم فضل مناصرتهم في ساعة العسرة فصدقوا . وكانوا يلباه حينما صدقوا ! واشترك في خديعتهم أولئك السياسة والأدباء والكتاب والصحفيون المغفلون والمأجورون الذين راحوا يشيدون بالديمقراطية ، والمدافعين عن الديمقراطية ا

ثم وضعت الحرب أوزارها ، وهب الإرهابيون اليهودي يجلدون الإنجليز في الشوارع ، وينسفون مقر القيادة الإنجليزية ، ويحفظون القضاء والقواد ؛ ويطلقونها صيحة مدوية : فلسطين لليهود ا

وقيل للعرب : اسكتوا واصمتوا واطمئنوا . فقد وقع الصهيونيون في شر أعمالهم ، وسينالون عداة الإنجليز ، ما في ذلك شك ، وسيجازيهم الإنجليز على ذلك بالنمكين للعرب في فلسطين ! وقيل للعرب : حذار من أن تكونوا بحق كاليهود . كونوا « عقلاء » أيها العرب لتكسبوا مودة الإنجليز . . . قالها لهم أولئك السياسة الذين اختاروا من أول الأمر طريق المفاوضات والمهادنات والمؤتمرات ، استمهالاً واستغلالاً ا

وصدق العرب الساكين ، منطلق ساستهم المنكبين ا وباتوا « عقلاء » عقلاء جداً ؛ لا يحركون ساكناً ، ولا يرفقون صوتاً ولا يمحرون صفواً .

وبدا الإنجليز يحنقون على الإرهابيين ، ويميلون للعرب . . . فألفوا سياسة الكتاب الأبيض ، وسمحوا بالهجرة اليهودية بمد ما انتهى الأجل الذي حدده للهجرة ذلك الكتاب ا ثم دعوا العرب واليهود إلى مؤتمر في لندن لوضع حل حاسم لقضية فلسطين

من كل نفوذ إنجليزي منذ هذه الليلة . وفي تطهير التعليم المصري من كل أثر إنجليزي دسه الاستعمار على نظمه وبرامجه وكتبه ، وحققته التاريخية والجغرافية . وفي تطهير الحياة المصرية من كل ما هو إنجليزي مهما اشتدت حاجتنا إليه .

ولو فعلت مصر لرفض أي مصري أن يخاطب أي إنجليزي على ظهر الوادي ولو لسلام المابر . ولأغلقت منذ اللحظة ذلك النادي العجيب الذي يسمى النادي المصري الإنجليزي ، ولأعدمت جميع المصورات الجغرافية التي تكتب ذلك العنوان الآثم : « السودان المصري الإنجليزي » وجميع كتب التاريخ في أيدي النلاميذ التي تتحدث عن « الإصلاحات التي تمت في عهد الاحتلال » ! ولو فعلت مصر لأطلقتها من الأعماق صيحة عداة مدوية للبرابرة المستعمرين . ولأعلنت أنها ستلقن ناشئها ذلك العداة ، وستعقيم إياه مع الرضاع ا

ولو فعلت مصر لأرسلت دعائها كاللبيين في كل مكان على ظهر هذه الأرض يفضحون مساوي الاستعمار ، ويتحدثون عن مآسيه الوحشية ، ويكشفون للعالم عن جنائح دنشواي والعزيزية و ٤ فبراير ، وعشرات من هذه المآسي التي يقشمر لها ضمير الإنسانية في كل مكان .

ولو فعلت مصر لسكتت صيحة الحزبية الحقيرة الخسيسة التي تهتف بها الأحزاب التي شاخت ، ويلوكها الجيل الذي أتت ، ويرردها الرجال الذين لم ينسحبوا في الوقت المناسب من الميدان ! ولو فعلت مصر لأدرك الإنجليز من فورهم أنها جادة في هذه المرة لا هازلة ؛ ولاشترروا منها مصالحهم في العالم وسمعتهم بالثمن الذي تريد ؛ ولوجدوا ارضاء مصر أ كسب لهم من تشبثهم باستمرارها وقد صرح العداة ا

ولكن مصر تقف في منتصف الطريق . تقف لأن الجيل الذي يقودها - في الحكومة وفي الممارسة على السواء - هو الجيل الذي شاخ . الجيل الذي دعاها في فورة الحماسة إلى الهدوء . الجيل الذي أفسد عليها طريقها حينما اختار الطريق الأسهل . طريق المفاوضة والمهادنة والمؤتمرات ا

وأما فلسطين فقد قارت فوريتها في وجه الظلم الذي لم تعرف له البشرية شبيهاً . وكانت آخر فورياتها في عام ١٩٣٨ . ورأى الإنجليز أن الأمر جد لا هزل ، وأن الأمة العربية هناك لاتنوي